الخطبة السادسة والثلاثون

يا رسول الله ما النجاة؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الكبير المتعال، الحمد لله ذي الفضل والجلال، الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

نرى في السنة أن فلاناً سأل رسول الله ﷺ سؤالاً، وأن فلاناً سأل رسول الله ﷺ عن موعظة أو عن وصية، فكان رسول الله ﷺ يجيب كل إنسان على حسبه وعلى ما فيه فائدته ومصلحته، وهذا كثير في السنة، وإن الله سبحانه يُطلع نبيه عليه الصلاة والسلام على خفايا النفوس والضمائر فيكون جوابه عليه الصلاة والسلام فيه الشفاء وفيه الدواء لما يعانيه السائل.

وقد يبادر رسول الله ﷺ السائل قبل أن يسأل السؤال، مثال ذلك عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «جئت تسأل عن البر والإثم؟» قلت: نعم، قال ﷺ: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» حم- الدارمي - صحيح بطرقه.

وهناك أسئلة عامة وليست خاصة بالسائل، مثال ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى أعرابي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت

الجنة؟ قال ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولّى، قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عَرفَتَ وعلى من لا تعرف» البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني خيراً، فأخذ النبي ﷺ بيده فقال: قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال: فعقد الأعرابي على يده ومضى، فتذكر ثم رجع فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تفكر البائس، فجاء الأعرابي فقال: يا رسول الله، سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذا لله، فما لي؟ فقال له النبي: يا أعرابي إذا قلت: سبحان الله، قال الله: صدقت، وإذا قلت: الحمد لله، قال الله: صدقت، وإذا قلت: لا إله إلا الله، قال الله: صدقت، وإذا قلت: الله أكبر، قال الله: صدقت، وإذا قلت: اللهم اغفر لي، قال الله: فعلت، وإذا قلت: اللهم ارحمني، قال الله: فعلت، وإذا قلت: اللهم ارزقني، قال الله: فعلت، قال: فعقد الأعرابي على سبع في يده ثم ولى. البيهقي في شعب الإيمان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني فقال: «لا تغضب»، ثم أعاد الرجل السؤال مراراً ورسول الله ﷺ يقول: «لا تغضب» البخاري، وهذا الحديث قد يكون خاصاً بهذا الرجل؛ لأنه كثير الغضب، أو أن غضبه يجرُّ عليه المشاكل والقطيعة والشحناء بين الناس، وقال أهل العلم: بأن هذا الحديث عام لكل الناس؛ لأن الغضب بحد ذاته مشكلة، وصفة ذميمة، ويكون صاحبها سيء المزاج لا يتحكم في أعصابه أو تصرفاته أو كلماته، وخاصة أن رسول الله ﷺ قال من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ليس الشديد بالصُّرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه.

واعتبر البعض بأن الغضب من الشيطان وذلك لما روي عن النبي ﷺ من حديث سليمان بن صُرَد رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يَسْتَبَّان، وأحدهما قد احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمات لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد» متفق عليه.

وهناك أحاديث جامعة فيها من المعجزات ما لا يعلمها إلا الله، وقد جمعت الخير في كلماتها القليلة، وأريد أن أخصص الحديث اليوم عن حديث كلنا بحاجة إليه في كل زمان ومكان، والحديث الذي أود أن أسرده الآن يمكن أن يُؤلف فيه مجلدٌ لجماله وأهميته وفائدته، وإليك بهذا الحديث الذي سأله الصحابي الجليل عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ ومعناه: كيف النجاة يا رسول الله من الهلاك والضياع والخسارة في الدنيا؟ وبالتالي كيف النجاة من عذاب الله تعالى ومن غضبه؟ سؤال مهم يحمل في طياته الكثير الكثير من الأسئلة، كيف أعيش في هذه الدنيا برضا من الله تعالى؟ كيف أنجو وأنجح في امتحان القبر وعند الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، كما جاء في حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» البخاري (7443).

كيف النجاة يا رسول الله خوفاً من قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: 25/ 23]؟ كيف النجاة يا رسول الله خوفاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 18/ 103 - 104].

جاء في المستدرك أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان في بيته وعنده زوجته، فبكت، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك بكيتَ فبكيتُ، فسألَتْه ما الذي أبكاك؟

فقال عبد الله: ذكرت قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: 19/ 72]، فلا أدري أننجو منها أم لا؟ فلذلك بكيت، وقال بعض أهل العلم لما قرأ هذه الآية: بأنها مخيفة جداً وذلك لأن الورود فيها يقيني، والنجاة من النار مشكوك فيها. سؤال عميق ولكنه يحوي في طياته مئات الأسئلة، ويحمل في طياته الخوف والهم والحرص على النجاة. فجاء الجواب من الرسول ﷺ أيضاً جامعاً شاملاً لعديد من المعاني والفوائد التي لا يتسع لها مجلدٌ من المجلدات، فقال عليه الصلاة والسلام: «أمسك عليك لسانَكَ، ولْيَسَعْك بَيتُكَ، وابكِ على خطيئتك» صحيح الترمذي.

- (أمسك عليك لسانَكَ)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لئن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضتَ المسألة، أعتق النسمة، وفُكَّ الرقبة، قال: يا رسول الله أوليستا بواحدة؟ قال: لا، أعتق النسمة أن تَفَرَّد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها، والمِنْحة الوَكوُفُ، والفيءُ على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع واسقِ الظمآن، وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر، فإن لم تُطِقْ ذلك، فَكُفَّ لسانك إلا من الخير» حم - حب - والنسائي في السنن الصغرى والكبرى - صحيح الأدب المفرد (69)، (المِنحة): أن تمنح أحداً شيئاً يستفيد منه، كحصان يركبه، أو سيارة، أو شاة تدر حليباً، (الوكوف): الكثيرة اللبن وهذا للشاة أو الناقة، (الفيء): العطاء والإحسان والتكرم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ ما أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ قال ﷺ: «تقوى الله وحسن الخلق، قيل: فما أكثر ما يُدخلُ الناس النار؟ قال: الأجوفان: الفم والفرج» حب - جه - حم - البزار - صحيح الأدب المفرد (222)، وعنه أيضاً أن رسول الله قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» متفق عليه.

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر

الشرك بالله وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وما حلف حالف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا جعلت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة» حم - ت - هب - ك، (يمين صبر) أي: يمين إلزام، وقيل: إن الحالف قد أُلزِم بيمينه وحُبِس عليها، وقيل: لو أن الحالف اقتطع بيمينه مالاً من أحد، وكان هذا اليمين كذبًا لكان الحالف الكاذب ملزمًا ومسؤولاً عن هذا المال المُقْتَطَع.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه» حم، (بوائقه) تعني: شروره ودواهيه، أي: لا يأمنه على ماله وشرفه وممتلكاته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» متفق عليه - حم، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «إنك يا معاذ لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك» الطبراني - صحيح الجامع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قطع رحمًا، أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت» صحيح الجامع (6475) - البيهقي - التاريخ الكبير للبخاري.

- (أمسك عليك لسانك) خراب البيوت بكلمة، الطلاق بكلمة، المنازعات والمشاجرات أصلها كلمة، القتل قد يكون نتيجة كلمة، بلسانك قد تظلم نفسك وتوقعها في المشاكل والمنغصات، بلسانك قد يكرهك الناس ويعادونك، بلسانك قد تظلم الآخرين، وتوقع بينهم العداوة والبغضاء، وبكلمة منك قد يطلق زوج زوجته، بكلمة قد تشعل نار الفتنة، بكلمة قد تخرج من الدين وتكون كافراً والعياذ بالله، أمسك عليك لسانك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خبب خادمًا على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا» متفق عليه، وعنه رضي الله عنه

أيضاً قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات... قذف المحصنات الغافلات المؤمنات» متفق عليه. أعراض المسلمين أمانة نساءً أو رجالاً، حتى إن الرجل لا يستطيع التكلم حتى ولو رآى الزنا بعينه فلا يستطيع أن يشهد حتى يأتي بأربعة شهود، وذلك لأن الأعراض غالية والشرف غال، وسمعة المسلمين غالية، أمسك عليك لسانك، وصية عظيمة، وكلمة بالغة، أمسك عليك لسانك، حماية لدينك، حماية لعرضك، حماية لأهلك وولدك، حماية لأسرتك ومجتمعك، حماية لأصحابك، حماية لحسناتك، أمسك عليك لسانك، حقناً للدماء، حفاظاً على الأسر، حفاظاً على الصحبة والمودة.

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله ما أعظمك من معلم، وما أعظمك من مرشد. وتذكر أن كلامك تقوله اليوم وتنساه غداً، ولكن الله تعالى لا ينساه، وتذكر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 58/ 6]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 50/ 18]، وقال عليه الصلاة والسلام لأسود بن أصرم المحاربي رضي الله عنه: «فلا تقل بلسانك إلا معروفاً، ولا تبسط يدك إلا إلى خير» -وذلك عندما سأل رسول الله ﷺ فقال له: أوصني يا رسول الله-. الطبراني - البيهقي - السلسلة الصحيحة (1560)، وتذكر وصية رسول الله ﷺ لمعاذ: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم» مسلم - ت - ن.

أمسك عليك لسانك، بكلمة واحدة تدمّر علاقة عمرها عشرات السنين، بكلمة واحدة تخرج من الدين، بكلمة واحدة تطعن بالقلب فيصبح المحب عدواً، بكلمة واحدة قد تسيل دماء وتزهق أرواح، كلمة واحدة تخرب أسرة كاملة، وكذلك العكس؛ بكلمة واحدة قد تنال رضوان الله تعالى، بكلمة واحدة قد تجبر كسراً وتحيي محطماً وتبني أسرة، وكما قيل: رُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى

ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» البخاري.

وعنه أيضاً قوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها؛ يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» متفق عليه، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: 22/ 24]، وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً تُرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» صحيح الترمذي (1984). بناء الأسرة وعقد الزواج يتم بكلمة: (قَبِلْتُ)، وتنهار الأسرة وتتفكك بكلمة: (طلقتك).

- (ولْيَسَعْك بَيتُكَ)؛ هذه الوصية الثانية للنجاة، 1 - بعض العلماء فهم من هذه الجملة الرعاية لأهل بيتك والحماية لهم، وتربيتهم التربية الإسلامية، وأخذوا هذا الفهم من قوله عليه الصلاة والسلام من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته» متفق عليه، فكيف ترعى زوجتك وأولادك إن لم تتواجد في بيتك؟ وقد أخرج البخاري عن الأسود رضي الله عنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج». وفي رواية أحمد: «كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»، وقالت: «كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ألين الناس وأكرم الناس، كان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بسّاماً».

2 - وبعض العلماء فهم من هذه العبارة أن يكون الرجل قدوة صالحة في بيته، فيُري أولاده من سيرته ومن أقواله ومن أفعاله ما يكون حافزاً لهم على الصلاح والتقى، كعدم الكذب ولو كان مازحاً، وعدم الفحش في الكلام، والمعاملة الحسنة

مع الزوجة والأولاد والجيران والضيوف، ويكون مصلياً ذاكراً قارئاً للقرآن، يقوم الليل ويخاف الله تعالى ويُعلّم أهل بيته ما فيه الخير لهم من قرآن وحديث أو يقرأ لهم كتاباً جيداً أو قصصاً مُعبّرة عن الصحابة والصالحين.

3 – وفهم بعض العلماء من قوله عليه الصلاة والسلام «وليسعك بيتك»: القناعة في الرزق، والرضا بما قسم الله لك، فلا تكن ساخطاً متسخطاً، متذمراً شاكياً باكياً من سوء حظك أو عدم التوفيق، ولكن اعمل واكدح وافعل ما تستطيعه وارضَ بما قسم الله لك، كن حامداً، كن شاكراً على ما أنعم الله عليك به، انظر إلى ما أعطاك الله تعالى من النعم ولا تنظر إلى ما حرمك منه، وذلك عملاً بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلّم من يعمل بهن؟» قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فَعَدَّ خمساً وقال ﷺ: «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» صحيح الترمذي (2305) – صحيح الجامع (100).

اصبر على البلاء والامتحان، ارضَ بقضاء الله تعالى، اجعل قلبك معلقاً بالله تعالى، ادعُه وتضرع إليه، اِلتجئ إليه، كلِّمْهُ، ناجِه، احمد الله من قلبك، ارضَ برزقك بعد أن تعمل جهدك، ارضَ بما قسم الله لك من الولد، ارضَ بزوجتك، ارضَ عن نفسك وحالك، واعلَم أن الأمور مقدرة من عند الله تعالى، ولا تأسف على شيء فربك المنعم، وربك العاطي والرازق، توكل عليه واعبده وادعُه.

(ولْيَسَعْك بَيتُكَ)، اِلزم بيتك لتعبد الله في الخلوات، قال ﷺ: «عليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» متفق عليه، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً» البخاري (422) – مسلم (744)، أي: لا تجعلوا بيوتكم كالقبور مهجورة من الصلاة، وبذلك تكون قدوة صالحة لأهل بيتك، ويُربى الصغير على رؤية أبيه يصلي ويقرأ القرآن،

اِلزم بيتك لتجنب الفتن والشهوات، فالشوارع والأسواق أصبحت مليئة بالمنكرات والفواحش، وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن السعيد لَمَنْ جُنّبَ الفتن، كررها ثلاثًا، ولَمَنْ ابتلي فصبر فواهًا» أبو داوود، (فواهًا) أي: طوبى له.

(ولْيَسَعْك بَيتُكَ)، انظر إلى من هو أدنى منك في الكسب الدنيوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم -الكسب الدنيوي- ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» مسلم، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء النعمان بن قوقل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أأدخل الجنة؟ قال ﷺ: نعم» رواه مسلم.

- (وابكِ على خطيئتك)، البكاء على الخطيئة يترتب على ذلك أمور منها: 1 - أنك أدركت الخطيئة وعرفت أنها خطيئة، 2 - أدركت أن العقاب على هذه الخطيئة وعلمت سوءها ووبالها، 3 - أدركت أن الله مطّلع عليك، 4 - وأدركت أن الكتبة الحافظين قد كتبوها عليك، 5 - وأدركت أن الله سبحانه سيقررك عن هذا الذنب من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن، فيضع كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: أي نعم، يا رب، حتى إذا أقرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال الله تعالى: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 11/ 18]» البخاري (2441)، 6 - وأدركت أن التوبة والاستغفار والعمل الصالح يغفر الذنب، 7 - لأنك أدركت من أسمائه وصفاته أنه هو الغفور الرحيم، -8 وأدركت وآمنت بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 25/ 70]،

9 - وأدركت أن البكاء على الذنب نوع من الحسرة والندم على فعله، وذلك من حديث عبد الله بن مغفل عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الندم توبة». صحيح ابن ماجه (3448) - حم، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» صحيح ابن ماجه (4250) - صحيح الجامع (3008)، 10 - وأدركت أن الخوف من العقاب أمر لازم، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة» ابن حبان - والبزار.

قوله ﷺ: «وابكِ على خطيئتك» قول مهم، وكأنه عليه الصلاة والسلام يرى واقع الناس ويصفهم، والناس عوضاً عن أنها تبكي على الذنوب فإنها تضحك وتُسر بالذنوب! فالشخص الذي يغش ويسرق غيره ويُنقصه من حقه تراه ضاحكاً مزهواً فرحاً بمكاسبه المحرمة الظالمة، وبعضهم يتباهى بها ويعتبرها شطارة وفلهوية وما هي إلا ذنب سيعاقب عليه وسيحاسب عليه وسيدفع ثمنه يوم لا درهم ولا دينار، وإنما كما قال عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» البخاري، وقال ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت» متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه من خطبة النبي ﷺ يوم النحر في مِنى في حجة الوداع.

أعود إلى قوله ﷺ: «وابكِ على خطيئتك» مسافة كبيرة بين الذي يضحك ويفرح من غشه للناس وظلمه إياهم وممن يبكي على خطيئته، فالباكي هو الذي استشعر وفهم وعقل فداحة الذنب، وفهم أسماء الله تعالى وصفاته كالحكيم والعليم، وقوله تعالى:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 18/ 49]، هو سبحانه لا يظلم أحداً، وهو سبحانه لا يسمح لأحد بأن يظلم أحداً، وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال: «يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان»؟ قال: لا، قال ﷺ: «لكن الله يدري وسيقضي بينهما».

وبناء على ذلك؛ تأدية الفرائض، والإقرار بأحكام الله تعالى وشرعه من الحلال والحرام، أي: اجتناب الحرام والبعد عن الآثام الخاصة والعامة، من موجبات النجاة، وإياك والغرور والعُجب بأعمالك وإنجازاتك، فما كان ذلك إلا بفضل الله ورحمته عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام من حديث سيد الاستغفار عن شداد بن أوس رضي الله عنه: «أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي» البخاري، (أبوء لك): أعترف وأقِرّ بأنه ما من نعمة عندي إلا هي من فضلك وكرمك وجودك يا رب العالمين، وأقِرّ وأعترف بذنوبي وتقصيري وإسرافي في أمري، (فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، وقيل: إن أنفاس العبد بين نَفَسَيْن: نَفَسٌ يحمد فيه ربه، ونَفَسٌ يستغفره من ذنبه.

فقوله ﷺ: «وابكِ على خطيئتك» فيها عدة نقاط مهمة، لعلي بفضل الله تعالى وقفت على بعض منها. وبناء على كل ما سبق كانت هذه الوصية النبوية الجامعة لبنود النجاة في الدنيا وفي القبر وفي المحشر وفي الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، والنجاة من النار: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» فسبحان من أعطى رسول الله ﷺ جوامع الكلم. أرجو الله العظيم أن ينفعني وينفعكم بهذا الحديث العظيم، وأسأله تعالى أن يغفر لنا ويرحمنا ويرحم ضعفنا وإسرافنا في أمرنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ... آمين

* * *